أشكال القراءة الثقافية للأدب الجز ائري- مقاربة في نقد النقد

Forms of Cultural Reading of Algerian Literature An Approach to Criticism of Criticism

أحمد زعزاع *

تاريخ الإرسال: 2021/07/15	تاريخ القبول: 2021/10/09	تاريخ النشر: 2022/05/01

الملخص: تعدّدت المداخل النقدية التي قارب من خلالها النقد الجزائري نصوص الأدب الجزائري، وذلك انسجاما مع سيرورة التحوّل التي فرضها لقاء هذا النقد بنظيره في المشرق العربي أو نتيجة الاحتكاك بمدارس النقد الغربي. وهو ما جعله يتراوح بين اتجاهات نقدية سياقية ونسقية وصولا إلى محاولة تَمثِّل النقد ما بعد البنوي بتمظهراته المختلفة، ولعل أهمها الدرس النقدي الثقافي. وقد حاولنا في مقالنا هذا تتبع نموذجين من النماذج النقدية التي سعت إلى الاقتراب من القراءة الثقافية للنصوص الأدبية الجزائرية، في قراءة أقرب إلى نقد النقد فيما كتبه كل من أم السعد حياة ولونيس بن علي.

الكلمات المفتاحية: النقد الجزائري، الأدب الجزائري، النقد الثقافي، الدراسات الثقافية، نقد النقد.

Abstract:

The Algerian criticism studied the Algerian literature through different approaches, in line with the process of transformation imposed by the exchange of this criticism with its counterpart in the Arab Mashrek, or the contact with Western criticism schools. This made it range from textual and contextual criticism to an attempt to represent post-structural criticism with its various manifestations, whose most important lesson is the cultural criticism lesson. In this article, we have tried to trace two critical models that sought to approach the cultural reading of Algerian literarure, in a reading closer to criticism of criticism written by Umm Al-Saad Hayat and Lounis Ben Ali.

المؤلف المرسل: أحمد زعزاع ahmedzazaa@gmail.com

* جامعة علي لونيسي- البليدة2/ الجز ائر ahmedzazaa@gmail.com

***Key words**: Algerian criticism ; Algerian literature ; cultural criticism ; cultural studies ; criticism of criticism.*

*** *** ***

مقدمة:

عرف المتن الأدبي الجزائري تحوّلات كبيرة نتيجة حركية مجتمعية تفرض وتيرة تغير ثقافي كبير على مستويات متعددة، بما جعل الأدباء الجزائريين يتجهون إلى طرائق كتابية وتخييلية جديدة قائمة على فكرة التجاوز للمعهود والمتعارف عليه، وذلك باعتمادهم على قراءات تمثيلية للواقع المعيش أو عوالمه الممكنة، في صورة أشكال إبداعية تساير مقتضيات التجريب الفني على مستوى الطرح الموضوعاتي والمعالجة الجمالية.

ولم يكن الحراك الأدبي بمعزل عن حراك نقدي كان بشكل من الأشكال دافعا لسيرورة التحول التي عرفها الأدب الجزائري، وتوزع على نطاقات نقدية متعددة جسد الشق الأكبر منها البحث الأكاديمي المتمثل في أطروحات ورسائل جامعية ومقالات في المجلات الأكاديمية، بالإضافة إلى كتابات ومؤلفات نقدية متنوعة ساهمت بشكل كبير في مواكبة الحركية الأدبية المتزايدة في الإبداع الجزائري؛ وقد اختلفت المداخل النقدية المعتمدة في قراءة النصوص الأدبية الجزائرية، في صورة النقدين السياقي والنسقي، والنقد ما بعد البنوي خصوصا فيما يمكن تلمّسه من محاولات نقدية ثقافية.

1. تحولات الخطاب النقدي الجزائري

1.1 أوليات القراءة النقدية للأدب الجزائري:

تعددت مداخل دراسة الأدب الجزائري وفق مقتضيات كل فترة من فترات التأريخ له، تبرز بينها لحظات فارقة ميزها الانكباب على مقولات بعينها أو اندماج ضمن تيار أدبي أو مسايرة لمناهج صنعت بؤرة اشتغال نقدي كبير في فترة معينة، وتجسد ذلك مثلا في محاولة بعض الباحثين متابعة نشأة وتطور الأدب الجزائري كأعمال أبو القاسم سعد الله ومحمد مصايف وعبد الله الركيبي وغيرهم، أو ما كان من قراءة للنصوص الإبداعية من أبعاد متعددة كان بعضها إسقاطا لمقولات سياقية عمدت إلى مساءلة الأدب مساءلة ايديولوجية بالأساس وخلق معايير تجعل الأدب منسجما بوظيفيته الاجتماعية وتربطه بأفق الواقعية في مقاربات نقاد فترات السبعينيات أساسا مثلما كان من عمل واسيني الأعرج في تتبعه للرواية الجزائرية.

ولأن الأدب قائم على التحوّل، بتيماته ومضامنيه الدلالية واشتغال الأدباء على مادة إبداعهم جماليا، فقد تواكب ذلك التحوّل مع تحول في طرائق التلقي، وهي ظاهرة عامة في كل الآداب مثلما يقول سعيد يقطين: "ما يجري على الإبداع الأدبي من تطور يجري على أشكال قراءته وتلقيه وتحليله، من جهة، وأنماط التفكير فيه والتنظير له، من جهة أخرى. لذلك يحق لنا الذهاب إلى القول بأن الأفكار الأدبية ومنهجيات التحليل ونظرياته تتحول بدورها في تفاعل مع ما يتحقق على مستوى الإبداع، ومع ما يتولد من معارف جديدة وأفكار جديدة تتصل بمجمل التحولات والتطورات الطارئة على صعيد المجتمعات"[1]. وبهذا لم يبق النقد الأدبي الجزائري منغلقا على موضوعات بعينها أو تيارات خاصة.

2.1 مسار التحول وأشكال الممارسة النقدية:

وفي مرحلة لاحقة عن مرحلة السبعينيات خصوصا، وبتأثير من الاطّلاع على النقد الغربي بتياراته المختلفة تماسا كان مباشرا في أحيان كثيرة، بدأ الوعي المنهجي في النقد يأخذ منحى مختلفا نسبيا بالاندماج في منظومة نقد نسقي والانفتاح على مقولات النقد البنيوي والسيميائي والشعرية والأسلوبية، وتجسد هذا التوجه الجديد في أعمال عبد الحميد بورايو والسعيد بوطاجين ورشيد بن مالك وعبد المالك مرتاض وأحمد يوسف وغيرهم من الجيل الأول من الأساتذة الجامعيين الذين ساهموا لاحقا في خلق ما يمكن أن يكون امتدادا لاشتغال نقدي ساد لفترة طويلة في الجامعة الجزائرية. غير أن ما يعاب على أكثر الدراسات المنجزة في الفترة التي عرفت شيوع هذا النوع من المقاربات النقدية هو تكريسها لمجموعة معينة من الأسماء الإبداعية والاشتغال على مدونة تكاد تكون محدودة لا تتجاوزها إلى غيرها، ما أدى إلى تهميش الكثير من المتون الأدبية ذات القيمة الفنية العالية.

ومادام تحقق العملية النقدية قائما على سيرورة التحول، فما لبث أن ظهر جيل جديد من النقاد الجزائريين رسم له خط الانفتاح على مقولات التأويل ومفاهيم قرائية جديدة تلامس المباحث ما بعد البنوية وتزاوج بين المجالات المعرفية المتعددة مع فتح الأدب على الدرس الثقافي، ويظهر من بين هؤلاء أسماء نقاد أمثال وحيد بن بوعزيز ويوسف وغليسي وآمنة بلعلى وعمر بلخير وسليم حيولة ولونيس بن علي وأم السعد حياة وغيرهم. وقد اخترنا الباحثين الأخيرين كنموذج لهذا التوجه النقدي.

إذن في هذا السياق القرائي اندمج أفق النقد مع أفق الإبداع في الأدب الجزائري، بما جعل النص والنقد يدخلان في علاقة متبادلة تجعل النص مؤسسا لطرائق تلقيه من جهة، ومن جهة أخرى انسحاب مقولات النقد على النصوص للحكم على قدرتها على بنينة المعنى ومظهرته، والأخذ بيد القارئ بشكل وسائطي للغوص في عوالم الأدب.

2. تمثّل المرجعيات المعرفية للدرس الثقافي وتفعيلها عند أم السعد حياة

1.2 تفعيل مفهوم الحوارية والوعي بالغيرية:

تستند الباحثة أم السعد حياة- في قراءتها النقدية عن التيمة المتعلقة بالأحداث الدموية في العشرية السوداء في نص "القلاع المتآكلة" لمحمد ساري- على مقولات الناقد الروسي ميخائيل باختين، بما يطرحه تصنيف هذا الناقد من إشكال معرفي كبير إذ يعدّ بعض الدارسين دراساته مندرجة في إطار معرفي يمكن أن يلتقي بالدرس الثقافي من نواحٍ متعددة، بينما يصنف تودوروف بحوثه في سياق ما أسماه "النقد الحواري" الذي يتجاوز مفهوم الاستبعاد إلى مفهوم الحضور المتعدد. ويبدأ الطرح المؤسس للاقتراب المنهجي عند أم السعد بالظهور انطلاقا من حديثها عن الجنس الأدبي، حيث تقول: "اختار محمد ساري جنس الرواية ليلملم شتات الأزمة، لأن بناء الرواية يستطيع في جماليته أن يوسع الوجود ويصنع عالما تتداخل فيه الأصوات التي تبدو أنها تستقل بأفكارها دون أن نجد المؤلف الذي يتخفى بقناع اللغة ليفضح المسكوت عنه تاركا فراغات عدة على القارئ أن يملأها لتكتمل صورة النص"[2]، فترى الباحثة أن روح تشكّل النص الروائي قائمة على قدرة استيعاب الأصوات المتعددة ومقدرة الروائي على تشخيص اللغات المختلفة بمسافة تؤهّله للنأي بنفسه عن المكاشفة أو المساءلة المباشرة لجملة من القضايا الإشكالية المرتبطة بالتيمة المعالجة. ومعلوم أن التعدد الصوتي مرتبط بتعدد وجهات النظر إلى الأشياء والظواهر، وبصورة أخرى بالزاوية الثقافية التي يقف عندها الناظر، وبالتالي يصبح معاينة هذه الأصوات هو معاينة لثقافتها التي تتدخل في تشكيل رؤاها، فوقوف الباحثة على التعدد الصوتي الذي صنع الكون الروائي عند محمد ساري هو وقوف على أنساق ثقافية متعددة بالأساس.

وتفعّل الباحثة- في كتاب "العين الثالثة: تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي"[3]- مقولات الغيرية وصورة الآخر والموقف منه، لتسائل حدود الهجنة المفروضة

على شخصيات نصي عمارة لخوص: "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" و"القاهرة الصغيرة"، وتبحث في القصدية الكامنة في بناء النصين الروائيين حول العلاقة بين عالمي الشرق والغرب، وذلك وفق تساؤلات أساسية طرحتها بصورة عامة على الرواية العربية، وصاغتها على النحو التالي: "هل استطاعت الرواية العربية أن تنقل رؤية ناضجة لعالم تسوده أحكام جزافية تضعنا في خانة البرابرة المقرونة أفعالهم بالعنف والهمجية والكسل، خاصة تلك الكتابات الروائية التي تكتب أدب الهجرة والمنفى واللجوء؟ بطريقة أخرى كيف يمثل الروائيون العرب في كتاباتهم هذه القضايا؟ وهل يسهمون في تبني ثقافة مقاومة ترد على همجية الآخر المتطرف، أم ينساقون وراء تنميطات الآخر ويكرسون الأوصاف التي يوسم بها العربي؟"[4].

إن محاولة الإجابة عن هذا التساؤلات قادت الباحثة حياة أم السعد إلى تفعيل مقولات الحوارية عند باختين في شكلها الثقافي، عندما يصير تعدد الأصوات تعددا لوجهات نظر ثقافية وحضارية، تتصادم في فضاء هجين تتحرك فيه شخصيات المهاجرين. ولم تقف عند حدود التهجين كمعطى أسلوبي لبناء السرد الروائي، بل تجاوزته إلى مساءلة الأنساق الثقافية المضمرة في الخطاب والتي تتشكل على تخوم علاقة الأنا بالآخر، أي على تخوم الغيرية، عندما تصل إلى استنتاج أن عمل عمار لخوص يتعلق باستحضار مزودج لصورة المهاجر ناظرا ومنظورا إليه، أي مساءلة شخصيته من خلال الموقع الذي تتموضع فيه، أو يموضعها فيه الآخر، وضعا لليد على ما سمته الباحثة بالشرخ الهوياتي[5].

2.2 في تمثّل الأنساق الثقافية المضمرة:

تسعى الباحثة في قراءتها لنص "متاهات ليل الفتنة" لحميدة العياشي إلى الكشف عن أنساق الاستبعاد التي تتم على مستوى اللغة بانغلاق أفق الحوار بين شخصيات الرواية، ويصير الموقف الوحيد الممكن هو العنف الذي يأخذ صورا متعددة[6]، ويترافق ذلك حسب تشخيص الباحثة مع ما يمكن تسميته بالقتل الرمزي على مستوى اللغة، عندما يتم تصدير خطاب القتل في صورة من التبريرية المقتمة بواسطة النصوص الدينية أساسا، وقد سعت الباحثة إلى كشف تغلغل نسق الاستبعاد على مستوى الخطاب المتبنى من قِبل الجماعات الإرهابية بتفكيك بنى القتل الرمزي عندما تعتبر أن عمليات تصفية المثقفين هي قتل للعقل[7].

ولا يهمّنا مما سبق الحديث عن قبض الباحثة على التيمة الأساسية في رواية حميدة العياشي أكثر مما يهمنا الوقوف على المدخل المنهجي الذي ارتأت من خلاله الولوج لتفكيك غياب أفق الحوار بين شخوص العمل الأدبي، والمتعلق بمفهوم العنف الرمزي، وهو المفهوم الذي يقدّمه بورديو في كتاب بالعنوان ذاته بجعله مفهوما مقترنا بالقوة التي يكتسبها الخطاب، حيث يقول: "تتحدد القوة الرمزية الخاصة بأي مرجعية بما لها من وزن داخل بنية علاقات القوة والعلاقات الرمزية، المنعقدة بين المرجعيات التي تمارس نشاطا يقوم على العنف الرمزي، وهي بنية تعبّر بدورها عن علاقات القوة بين الجماعات أو الطبقات التي تتكون منها التشكيلة الاجتماعية"[8]، فالوعي بالسلطة الموجودة في بعض التشكيلات الخطابية هو الذي يجعل بعض الشخصيات تمارس فعل الاستبعاد المستند إلى قوة مبثوثة في الخطاب الذي تستند إليه، والباحثة تؤسس لدراسة النص الأدبي من منطلق القراءة الواعية بالمفهوم، وهو ما أخذ بيدها للوصول إلى كشف بعض أوجه الثقافة النسقية القائمة على فكر أحادي بالأساس لا يتقبّل الآخر ويسعى إلى استبعاده ابتداء بقتله رمزيا بسلبه القدرة على الكلام وانتهاء بالتصفيات الجسدية.

تعود الباحثة أم السعد إلى الجهاز المفاهيمي عند بورديو لتستعير منه في قراءتها للمجموعة القصصية لرضا حوحو[9] مفهوم السلطة الرمزية المتجلية في نسق ثقافي متمركز حول الهيمنة الذكورية، حيث يقول بورديو: "تجد الهيمنة الذكورية كل الظروف مجتمعة لملء ممارستها. والحضور المعترف به كونيا للرجال يتأكد في موضوعية البنى الاجتماعية ونشاطات الإنتاج وإعادة الإنتاج والقائمة على تقسيم جنسي لعمل الإنتاج وإعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي، ويمنح للرجل النصيب الأوفر"[10]، وهذا المفهوم من أهم المفاهيم التي تأتي في سياق متكامل مع دراسات متعلقة بالنقد النسوي ودراسات الجندر، من حيث محاولة إعادة التأسيس بصورة مغايرة للمعتاد عليه للعلاقة ذكورة/ أنوثة، بالإضافة إلى الوقوف على الخصوصية التي تجعل من المشتغلين والمشتغلات أساسا في حقل النسوية مهتمين بقضايا الهامش وتقويض المركزيات. وتحاول الباحثة أن تقف في المجموعة القصصية لرضا حوحو على صورة المرأة من زاوية نظر ثقافية بالأساس، تحاول أن تموضع من خلالها الصورة المقدمة من قِبل الكاتب في سياق من محاولة الإسقاط المعرفي لفكرة كون المرأة تشكل طبقة اجتماعية ذات حضور/غياب ثقافي مهمش ومتواطئ على تهميشه،

حيث تعتبر أن حوحو "لم يستطع أن يفجر الثابت في الأذهان ولا تفكيك الأنظمة الإيديولوجية المنتمي إليها"[11]، فترى أن الكاتب لم يستطع الفكاك من الصورة النمطية المتشكلة في الثقافة النسقية عن المرأة.

3. القراءة النقدية ضمن المنظور ما بعد الكولونيالي عند لونيس بن علي:

1.3 تفكيك الفضاء الروائي ثقافيا:

يعمد الباحث بن علي لونيس في العنصر المتعلق بالمكان في دراسته عن رواية محمد ديب "الأميرة المورسكية"، بالإضافة إلى الوصف المعتاد للمكان من حيث كونه مكونا سرديا يؤسس لبؤرة السرد، إلى فتحه على ما يمكن أن يقترن به من مقولات هي في الأساس مقولات ثقافية واسمة لعلاقة الأنا بالآخر من خلال الوصف المتجاوز لحيثيات الفضاء إلى ما يمكن أن يتلبس ذلك الوصف من محمولات دلالية ذات أبعاد متعلقة بحدود العلاقة بين الشمال والجنوب. ويعتمد الباحث في مقاربته لعنصر المكان آلية قرائية تقوم على قراءة ثلاثية الأبعاد لهذه الجزئية بالبحث في سؤال الأين والكيف ولماذا[12]، بمعنى الغوص في اللغة الواصفة للمكان والبانية له والأفق التأويلي الذي يفتحه الاختيار، ليدرج الإجابة ضمن مجال اشتغال ثقافي بانٍ للعلاقة بين الأنا والآخر وتمثلات فضاءي كل منهما، بما يرصده من تجسيد لغوي لفضاء الشمال الذي يتموقع على النقيض منه تشخيص فضاء الجنوب، من خلال جملة من الثنائيات الضدية التي تجعل الصورة المهيمنة على فضاء الجنوب هي صورة الصحراء والتيه والامتداد بلا معنى في مقابل صورة الخضرة والمياه في الشمال والتحكم في التشكيل الهندسي، حيث يقول: "بالنسبة لرواية "الأميرة الموريسكية" يمكن توزيع أمكنتها إلى فضائين كبيرين هما: الشمال ويقابله الجنوب. وهذه الثنائية (شمال/جنوب) تعكس البنية التقاطبية للمكان في الرواية، وانطلاقا منها يمكن الكشف عن البنيات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تميز كل فضاء عن الآخر"[13].

يتحدث غاستون باشلار في كتابه "جماليات المكان" عن المكان بما يجعله عنصرا مؤثرا في تكوين التحقّق الذي تنتهي إليه الذات ومعرفتها عن ذاتها، ويذهب إلى أن دراسة المكان لابد أن تقف على القيمة الإنسانية الموجودة فيه ومساهمته في بناء الذات وتشكيل رؤيتها عن العالم بما يشتغل في الذاكرة من إحداثيات للمكان تستعاد بحمولتها القيمية المؤسسة لطرائق التموضع في الأمكنة المختلفة، من حيث ارتباط المكان بتوليد "قيم

تخييلية" بقوله: "ويرتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها المكان والتي يمكن أن تكون قيمة ايجابية، قيم متخيلة سريعا ما تصبح هي القيم المسيطرة. إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز"[14]، وبهذا تصبح دراسة المكان أكبر من كونها دراسة لمكون سردي فحسب إلى دراسة حمولات قيمية ومضامين ثقافية.

ويربط الباحث قراءته للمكان في جانب آخر- انطلاقا من تمثلٍ لرأي باشلار السابق والتوسيع عليه- بتيمة المنفى التي تعدّ من التيمات المتأسسة على مفهوم الاغتراب المكاني المقترن بالبحث عن البعد الهوياتي، عندما يقول في دراسة أخرى عن الرواية: "الصحراء في رواية الأميرة المورسكية تحوّلت إلى هذا الأصل المفقود الذي يشدّ الذات المغتربة إلى البحث عن النبع الذي ترشف منه هويتها الحقيقية"[15].

2.3 تشكيل الذات ما بعد الكولونيالية والردّ بالكتابة:

يعدّ مفهوم المنفى من المقولات التي يشتغل عليها الدرس الثقافي في شقه المتعلق بانوجاد الذات في حالة من خارج الفضاء أو حتى التوزع الهوياتي عندما يتتبع الباحث بن علي لونيس الصيغة الزمنية المقدمة في الرواية ويعتبره مكونا ثقافيا، حيث يقول: "..بداية الرواية كانت بالزمن، ليس كفضاء وقتي، بل كقيمة ثقافية، مبرزة يوم الأحد كمنطلق لأحداثها (اليوم هو الأحد. كيف عرفت ذلك؟ كل شيء يبدو هنا في عطلة). فالأحد في هذا السياق يمثل عنصرا ثقافيا يحيل إلى الثقافة المسيحية- الأوربية، الذي سيكون منذ بداية الرواية أفق انتظار عند القارئ الذي سيدرك أن شخصيات الرواية تنتمي إلى وسط ثقافي أوروبي/غربي/مسيحي، سواء كانتماء جغرافي بالنسبة للأب المغاربي، أو كانتماء عرقي بالنسبة للأم الأوروبية. ومع تقدم القراءة اكتشفنا أن شخصية الطفلة (ليلي بيل) تنتمي إلى الوسطين وهو ما سبب لديها حالات من القلق النفسي"[16]. فالباحث ينطلق من إشكالية الزمن الروائي ليصل إلى قضية مهمة في الحديث عن الذات الانشطارية عند شخصية الطفلة في الرواية وعند والدها كذلك الذي يبقى متوزعا بين فضائين وزمانيين ثقافيين بالأساس في شكل من أشكال انشطار الهوية التي تعتبر من المقولات الأساسية التي يتحدث عنها الدرس الثقافي في شقه المتعلق بالنظرية ما بعد الكولونيالية وتشكّل الذات[17]، عندما

يصبح تحقق الذات مرتبطا بترسبات نفسية بالأساس متأتية عن لحظة مفارقة الوضع الأولي أو الأصل أو ما كان من نقاء هوياتي واندماجها في أفق الوعي المتراكب بما يعرف بالتجربة الكولونيالية.

إن الخبرة الكولونيالية[18] بما يعدّها دارسو النظرية الكولونيالية وما بعدها شرطية تجربة الاستعمار في الذات المستعمَرة تتمخض عن خطابات مضادة للخطاب التمثيلي الاستعماري، وهو الأمر الذي يقف عنده لونيس بن علي في كتابه "نشيد بروكوست" في قراءته لنص الروائي الجزائري كمال داود "مورسو: تحقيق مضاد" الذي يقرأه في معارضته لنص رواية "الغريب" لألبير كامو. فيعرض الباحث لتشكّل الرواية الجزائرية المعاصرة في بعض أوجهها كنص مضاد للخطاب الكولونيالي بما يجسّده روائيو المنظومة الاستعمارية عن قصد أو دونه من نصوص تجعل من جمالية المادة الأدبية حيلة ثقافية تنخرط بموجبها النصوص في قصدية الهيمنة على المستعمَر والتبرير لفعل استعباده واستبعاده.

ويشير لونيس بن علي إلى خطورة التخييل عندما يصير أداة للهيمنة، وذلك لما يتمّ تمثيل الآخر المستعمَر وفق صورة نمطية قائمة على التضاد مع الصورة المرسومة للذات الاستعمارية، فـ"لكل ثقافة متخيلها الذي تلجأ إليه للتعريف بنفسها، غير ان وعيها بنفسها لا يكتمل إلا من خلال موضعة الذات أمام الآخرين"[19]، غير أن هذه الموضعة تتحقق في الخطاب الاستعماري في صورة من التمثيل الزائف والاختلاق لصورة دونية للآخر المستعمَر تصيّره فاقدا لكل أهلية إنسانية في أقصى صور المعارضة مع الذات الاستعمارية.

وهو الأمر الذي تنبّه إليه الباحث في قراءته لرواية "مورسو تحقيق مضاد" عندما يستثمر مقولة إدوارد سعيد عن القراءة الطباقية، بما تتيحه- كما يقول- من إمكانية أن "يحرر الدلالات من قيود النظرة الواحدية"[20]، التي هي بطبيعة الحال نظرة المركز المهيمن. فيقرأ رواية كمال داوود في تعارضها مع رواية ألبير كامو "الغريب"، لتظهر رواية الروائي الجزائري كمال داود باعتبارها نصا مضادا وكتابة تتقصّد الردّ على الاستبعاد للأصلاني في رواية الغريب، حيث يقول: "رواية كمال داود تندرج ضمن هذا النسق من الكتابة التي

اشتغلت على رواية كولونيالية، بإعادة كتابة رواية كامو من زاوية مغايرة، واستنطاق مناطق الصمت فيها"[21].

إن هذه القراءة المعتمدة من قبل لونيس بن علي، والتي تتخذ من نص "مورسو تحقيق مضاد" مدونة اشتغال لها، تموضع نفسها ضمن المنظور النقدي ما بعد الكولونيالي، وقد كان الباحث واعيا بالمرجعية المعرفية التي تحرك هذا المجال البحثي لذلك نجده يؤثث دراسته بمفاهيم وثيقة الالتصاق بالدراسات الثقافية من قبيل السلطة والمعرفة والخطاب والهيمنة والتابع والتاريخ الجديد والقراءة المتعارضة أو الطباقية، ويعود في ذلك لعرض مجمل لبحوث ميشال فوكو وإدوارد سعيد وغياتري سبيفاك وغيرهم من المؤسسين أو المشتغلين بالدراسات الثقافية.

4. خاتمة:

ضع بعد هذا الوقوف السريع على بعض أوجه القراءة عند الباحثين أم السعد حياة ولونيس بن علي كنموذجين من ضمن نماذج أخرى للبحث النقدي المنفتح على الدرس الثقافي، نجد أن الباحث بن علي لونيس يأخذ بيد النصوص ليفتحها على أفق معرفي ثقافي ينطلق فيه من البنية الفنية للوقوف على أبعاد ثقافية مضمرة ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيل النص الروائي، حيث سعى من خلال وقوفه على نصي محمد ديب وكمال داود الروائيين إلى الكشف عن حدود مساءلة الظاهرة الاستعمارية التي تطرحها عوالم الرواية، لتتحقق الكتابة الأدبية في سياق الوعي بالأنساق الكولونيالية المبثوثة في التمثيلات الغربية عن الآخر، ومن ثمة السعي للرد عليها في صورة كتابة مضادة تتشكل كخطاب مقاومة ثقافية.

بينما تظهر جهود الباحثة أم السعد حياة جلية في محاولة تمثل المقولات النقدية ومحاولة تطبيقها من غير تعسف منهجي على المتن السردي الجزائري، حيث يتأسّس الجهاز الإجرائي الذي تشتغل بواسطته الباحثة على مجموعة من المقولات النقدية المستقاة من مجالات بحث متعددة، وتفتح أدواتها القرائية في مقاربة المتن السردي الجزائري بشكل كبير على مقولات باختين عن التعدد الصوتي والحوارية بالإضافة إلى بعض المفاهيم التي اشتغل عليها الناقد الفرنسي بيير بورديو مثل التمثيل والعنف الرمزيين والسلطة الذكورية، وهو ما يقترب من وصف القراءة المعتمدة عند الباحثة بالقراءة الثقافية انطلاقا من اقتراب أو تماثل اهتمامات المرجعية المعرفية التي تعود إليها مع المقولات المؤسسة للدرس الثقافي.

5. الهوامش:

1- سعيد يقطين، الفكر الأدبي العربي: البنيات والأنساق، منشورات الاختلاف، الجزائر/ دار الأمان، الرباط/ منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2014، ص27.

2- حياة أم السعد، النقد والخطاب: مقاربات تداولية وميديولوجية، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2017، ص76.

3- حياة أم السعد وآخرون، العين الثالثة: تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم، الجزائر، ط1، 2018.

4- نفسه، ص38.

5- ينظر نفسه، ص53.

6- ينظر حياة أم السعد، النقد والخطاب: مقاربات تداولية وميديولوجية، ص50.

7- ينظر نفسه، ص58.

8- بيير بورديو، العنف الرمزي، تر: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط1، 1994، ص10.

9- حياة أم السعد، الصوت الرومانسي والإصلاحي والثوري في التجربة القصصية للشهيد أحمد رضا حوحو، مجلة "المدونة"، مخبر الدراسات النقدية والأدبية، جامعة البليدة2، الجزائر، مجلد1، العدد2، جانفي 2015.

10- بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص60.

11- حياة أم السعد، الصوت الرومانسي والإصلاحي والثوري في التجربة القصصية للشهيد أحمد رضا حوحو، ص140.

12- لونيس بن علي، الفضاء السردي في الرواية الجزائرية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص39.

13- نفسه، ص42.

14- غاستون باشلار، جمالية المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط2، 1984، ص31.

15- لونيس بن علي، تفاحة البربري: قراءات نقدية مفتوحة، دار فيسيرا، الجزائر، ط1، 2012، ص297.

16- لونيس بن علي، الفضاء السردي في الرواية الجزائرية، مصدر سابق، ص181.

17- هومي بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط1، 2006، ص95.

18- ينظر بيل أشكروفت وغاريث غريفيث وهيلين تيفن، الرد بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص17.

19- لونيس بن علي، نشيد بروكوست، دار بوهيما للنشر، تلمسان، الجزائر، ط1، 2018، ص101.

20- نفسه، ص107.

21- نفسه، ص109.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊